جامعة الأزهر

كلية الدراسات العليا للوافدين

التفكير النقدي

بين النظرية والتطبيق

في العلوم الإسلامية والعربية

الفصل الثاني

أ.د/ خالد عرفاق

٢٠١٩م

الفصل الثالث

مهارات التفكير النقدي

مهارات التفكير النقدي:

تمهيد

التفكير النقدى مثل انواع التفكير الأخرى له مهاراته التي ينبغي أن يتسم بها من يقوم بهذا النوع من التفكير خاصة في العلوم الإسلامية والعربية، وهذه المهارات منها ما هو خاص بالتفكير النقدي وبعضها مشترك مع التفكير النقدي وغيره كالتفكير المقاصدي مثلا، وسنعرض فيما يلي لأهم مهارات التفكير النقدي بشيء من التفصيل.

أولا: مهارات التفكير المقاصدي:

إن المعرفة الواعية بألفاظ اللغة وما تحمله من معان ، وما تعطيه من دلالات متنوعة في سياقات مختلفة ، تعد أداة ناجحة، وطريقاً موصلاً للفهم الحقيقي للأحكام الشرعية من حيث غاياتها الدفينة ، و أهدافها النبيلة التي تحقق سعادة الإنسان فى الدارين .

إن الفكر المستنير المستند على الوعى بمقاصد الأحكام وغاياتها هو ما يمكن تسميته ب " **الفكر المقاصدي** " الذى يقوم أساساً على مبادئ وأسس الاجتهاد الصحيح ، الذى يجب أن " يتجاوز النص إلى الروح، ويتعدى المنطوق إلى المفهوم ، وينظر في أحوال الناس كما ينظر في أحوال الألفاظ ، ويعالج التعارض بين المصلحة والمفسدة، كما يعالج التعارض بين الظاهر والمؤول وبين العام والخاص ، وبين المطلق والمقيد وبين الحقيقة والمجاز ، ويدفع تعارض النص مع المصلحة بالترجيح أو الجمع، كما يدفع أي تعارض وتدافع، فالاجتهاد لا ينبني على النص اللفظي فقط؛ بحيث لا يتعدى البحث فيه ولا يتجاوز النظر في ألفاظه بل يتعدى إلى كل ما ذكرنا " فى (عبد الصمد المساتى ، ٢٠١٨).

https://islamanar.com

مفهوم علم المقاصد :

كان العلماء القدامى يعبرون عن مقاصد الشريعة بتعبيرات مختلفة، تتفاوت من حيث مدى تطابقها مع مدلول المقاصد الشرعية ومعناها ومسماها، كالغاية والحكمة والمصلحة والعلل والغرض ونحو ذلك، لذلك لم يبرز على مستوى البحوث والدراسات الشرعية والأصولية تعريف محدد ومفهوم دقيق للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم، لانصرافهم إلى العمل بها اجتهادا وتطبيقا وتنزيلا، فقد كان جل اهتمامهم الاجتهادي مقتصرا على استحضار تلك المقاصد والعمل بها أثناء الاجتهاد الفقهي، دون أن يولوها حظها من التدوين، تعريفا وتمثيلا وتأصيلا وغير ذلك. فرغم كون الإمام الشاطبي صاحب النقلة النوعية لعلم المقاصد بما قعد له وفصل فيه وجعله مبحثا مستقلا من مباحث أصول الفقه لا يقل عن المباحث الأخرى إن لم يفقها، إلا أن الرجل لم يكن معنيا بالحدود والرسوم، بل كان يرنو إلى مشروع تجديدي لأصول الفقه موجه للعلماء حتى أنه اشترط على من يريد أن "ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد حتى يكون ريّاناً في علوم الشريعة، أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير مخلد إلى التقليد والتعصب للمذهب" (الشاطبى ، ٢٠١٠) ..

وأما المعاصرون فقد ذكروا تعريفات تتقارب في جملتها من حيث الدلالة على معنى المقاصد ومسماها، ومن حيث بيان بعض متعلقاتها على نحو أمثلتها وأنواعها وغير ذلك.

فقد عرف قسميها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معاني من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها، ثم ذكر المقاصد الشرعية الخاصة وبين أنها: "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة.
أما العلامة علال الفاسي فقد نص على أن: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها."
" واعتبر الدكتور أحمد الريسوني مقاصد الشريعة هي " الغايات المستهدفة والنتائج والفوائد المرجوة من وضع الشريعة جملة ومن وضع أحكامها تفصيلا، أو "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد .

واعتبرها الدكتور نور الدين الخادمي هي: "المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني حكما جزئيا أم مصالح كلية أم سمات إجمالية وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين.

و هذه التعريفات في جملتها تدور على كون المقاصد تمثل المعاني والأهداف والأسرار التي وضعها الشارع في أحكامه وتشريعاته مما فيه مصلحة للمكلفين في العاجل والآجل.

مفهوم الفكر المقاصدى :

من خلال ما سبق من بيان ما قام به العلماء من شرح لمعنى المقاصد ، وما يتطلبه هذا العمل من توافر مهارات تفكير متنوعة من (التحليل والموازنة والاستنباط والتأمل والنقد) يمكن القول بأن لعلم المقاصد مهارات خاصة هي مهارات تفكير، و استراتيجيات التفكير من أجل إنتاج أفكار توضح مقاصد النص بصفة عامة والنص الديني بصفة خاصة، وأن إجمالي هذه الأفكار المنتجة تسمى بالفكر المقاصدي ، فالفكر المقاصدي هو نتيجة للتفكير والتفكّر بمهاراته واستراتيجياته المختلفة ، وهو ما يسميه الريسونى بـ " **الفكر المقاصدى** " حيث يؤكد "أن كل ما يقدم في تعريف مقاصد الشريعة يمهد لمعرفة المراد بالفكر المقاصدي ويسهل بيان خصائصه ومميزاته، باعتباره فكرا متشبعا "بمعرفة ما تقدم وغيره من معاني مقاصد الشريعة وأسسها ومضامينها، من حيث الاطلاع والفهم والاستيعاب "بل إنه فوق ذلك "هو الذي آمن واستيقن مقصدية الشريعة في كلياتها وجزئياتها، وأن لكل تكليف مقصده أو مقاصده."

وعليه يمكن أن نميز بين عدة مصطلحات مترابطة على النحو التالي:

علم المقاصد: العلم الذي يضع الأصول والقواعد اللازمة للتعامل مع النص لمعرفة مقاصده، وربطه بحياة الناس من أجل تحقيق المصالح.

الفكر المقاصدي: هو نتاج التفكير حول النص ، وهو يتمثل في مجموعة الأفكار التي يتم التوصل إليها من خلال التعامل مع النص الديني بصفة خاصة وأي نص بصفة عامة.

التفكير المقاصدي: اشغال الذهن من خلال القيام بأنشطة ذهنية مختلفة تعتمد على مهارات واستراتيجيات تفكير خاصة بالتفكير المقاصدي في التعامل مع النص الديني لمعرفة مقاصده.

التفكُّر المقاصدي: هو التفكير المصحوب بالتفاعل الوجداني مع النص ، حيث يتم التعامل مع النص بالذهن والقلب معا، فكل تفكُّر تفكير وليس كل تفكير تفكَّر.

وهذا ما يدعمه القرآن الكريم حيث ورد لفظ يتفكرون في القرآن كثيرا، ولم يرد يفكرون، لأن يفكرون عمل ذهني فقط بينما يتفكرون عمل ذهني وقلبي معا، لأن النص هنا نص إيماني يحتاج الاثنين. وقد أثبت العلم ان في القلب ٤٠٠٠ خلية تدرك وتفكر وتنشط مثل المخ تماما.

استراتيجيات التفكير المقاصدي: مجموعة من استراتيجيات التفكير التي يمكن استخدامها في الوصول لمقاصد النص نظرا لمناسبتها للنص وطبيعته وإجراءات التفكير المناسبة للنص، مع مراعاة أن كل استراتيجية مجموعة من الإجراءات المتتابعة التي تتسم بالمرونة والتنوع ، وينفذ كل إجراء فيها من خلال مهارة تفكير أو أكثر.

مهارات التفكير المقاصدي: مهارة التفكير كل عمل فكري مركب يتم في سرعة ودقة مع أقل عدد من الأخطاء، ويكون حلقة في سلسلة متتابعة من المهارات التي تنفيذ داخل استراتيجية التفكير المستخدمة.

وعليه يمكن توضيح العلاقة بين المصطلحات السابقة في الشكل التالي:

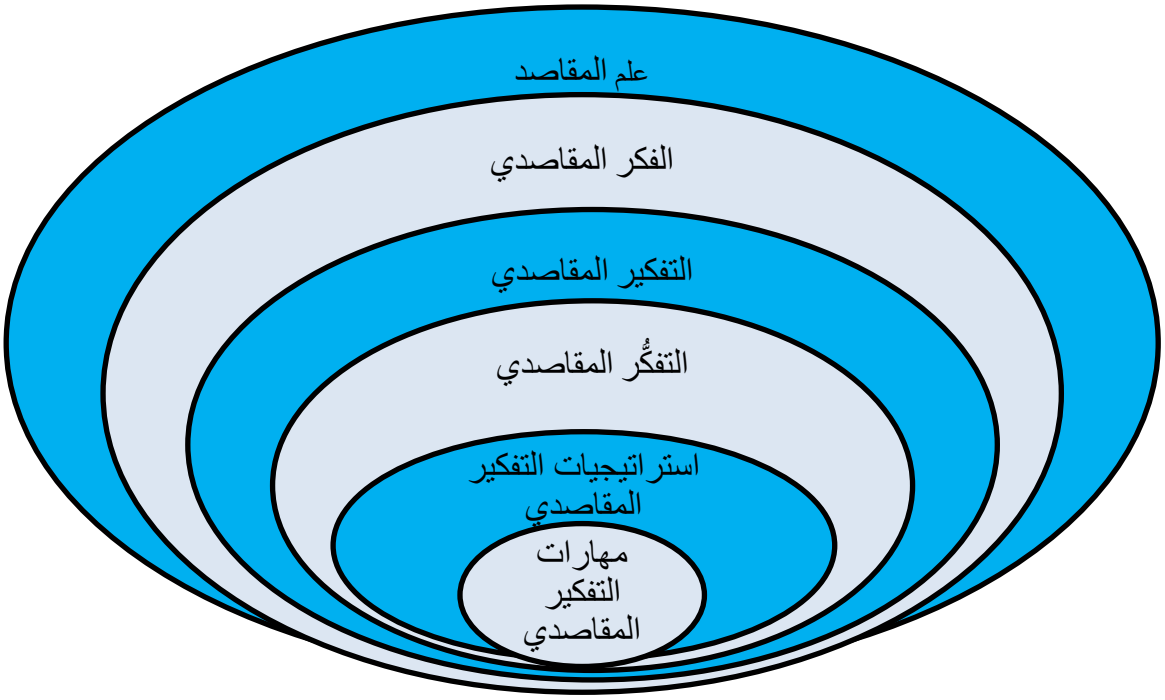

شكل (١) العلاقة بين الفكر المقاصدي والمفاهيم الأخرى المرتبطة به

ويتضح من خلال مراجعات ما كتب في هذا المجال يجد أن هناك خلطا بين هذه المفاهيم نظرا لأن علم المقاصد يقوم على جوانب عدة ليست جميعها مرتبطة بالنص؛ كاللغة والتفكير والبيئة.. وغيرها؛ وهذا يتضح جليا في لدى الريسوني الذي يري أن "الفكر المقاصدي هو الفكر المتبصر بالمقاصد، المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها، وهو كذلك ما دام فكرا يوازن بين النصوص والقواعد المستمدة منها، ويربط بين السبب والمسبب، وبين العلة والأثر المترتب عليها، ويستشرف المآلات والنتائج، ويعتبر المقاصد في الأحكام من حيث: الاستدلال والاستنباط والترجيح وترتب الأثر، بما يحقق صلاحية الشريعة الإسلامية واستمرارها وحاكميتها، ويحقق معنى الاجتهاد المقاصدي " فى ((الريسوني : ١٩٩٩ ، ٣٥ ، في عبد الصمد المساتى ، ٢٠١٨)

وهذا ما دفع الباحثين إلى تحديد المصطلح والمصطلحات الأخرى حتى تتوحد الصورة الذهنية لها لدى جميع المهتمين؛ ومن ثم تتوحد الممارسات والإجراءات فتأتي الجهود العلمية متناغمة متكاملة في مصطلحاتها وتطبيقاتها ونتائجها.

إن معرفة مقاصد الشريعة وفقهها من نصوصها المختلفة عملية متعددة الأبعاد ؛ لأنها ليست مجرد معرفة تشبع نهمنا في فهم الشريعة وأهدافها ومراميها ، وتشحن رصيدنا المعرفي بثروة من الحكم والمقاصد العامة والخاصة الكلية والجزئية للشريعة الإسلامية ؛ بل هي أيضا لى هذا كله تنشئ نمطاً في الفهم والتصور للأمور ، وتعطى منهجاً في النظر والتفكير وهو ما نسميه ب " الفكر المقاصدى".

<u>قواعد الفكر المقاصدى :</u>

إن الفكر المقاصدى ليس هو ذلك الفكر الذى تحرر من الظواهر والأشكال ، وتمرد على الضوابط المنهجية والقواعد اللغوية وبدأ يكثر من ذكر المقاصد ومن تحديدها وتكييفها حسب رأيه ونظره ، وأخذ يعتمد على المقاصد لتسويق آرائه وتحسينها إنما هو فكر ومحدد بقواعد وضوابط معينة ، كما أنه يقوم على عدة قواعد مالا ثم تفصيلا فيما يلي:

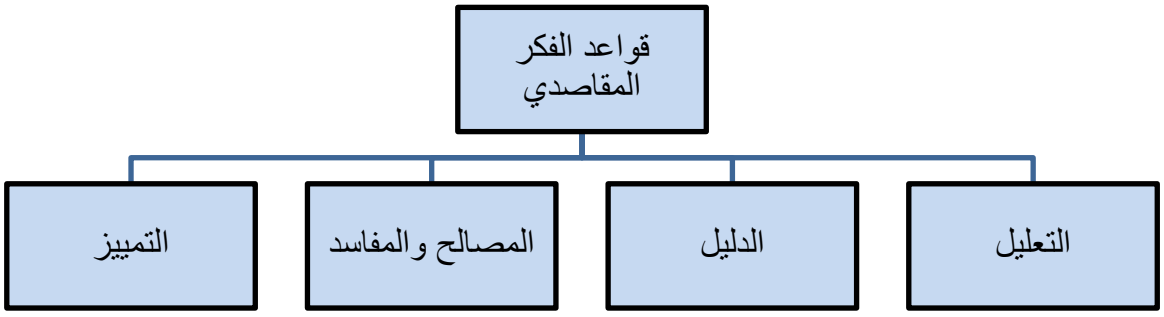

شكل (٢) قواعد الفكر المقاصدي

وإليك ذلك بشيء من التوضيح:

١ -كل ما في الشريعة معلل وله مقصوده ومصلحته .

أي أن كل ما في الشريعة معلل وله مقصده ومصلحته ، فالشارع الحكيم ما شرع حكما -ً سواء بالإيجاب أو بالتحريم – إلا وله مقصد ، قد تظهر للمكلفين أو لا تظهر ، وبين أن عدم معرفتنا لعلة الحكم لا يعنى عدم وجودها ؛ وإنما ذلك بسبب قصور الفهم والإدراك ،.

ثم إن المقاصد منها ما هو عام يشمل كل أو أغلب مواضيع الشريعة ، ومنها ما هو خاص بباب أو مسألة معينة .

٢ -لا تقصيد إلا بدليل:

وذلك من خلال :

أ – لسان العرب هو المترجم عن مقاصد الشارع .

حيث يلزم التوازن الواعي بين احترام اللغة في ألفاظها وقواعدها وظاهر معانيها وبين النظر إلى معانى الخطاب ومقاصده ومراميه ، ووضع كل شيء في موضعه وحدوده بلا تعسف ولا تكلف ولا تحجر ولا جمود .

ويقول ابن القيم " الواجب فيما علق عليه الشارع الأحكام من الألفاظ أن لا يتجاوز بألفاظها معانيها ولا يقصر بها ويعطى اللفظ حقه والمعنى حقه .(إعلام الموقعين ، ٢٢٥/١) .

ب – مسالك التعليل (مسالك استنباط العلة) .

وهو ما يقوم على الاستقراء ؛ حيث يقول الشيخ (ابن عاشور) إن الاستقراء هو الطريق الأول والأهم من طرق إثبات المقاصد الشريعة ؛ حيث قال : " الطريق الأول وهو أعظمها استقراء الشريعة فى تصرفاتها ؛ لأننا إذا استقرينا عللاً كثيرة متماثلة فى كونها ضابطاً لحكمة متحدة أمكن أن تستخلص منها حكمة واحدة فنجزم بأنها مقصد شرعى كما يستنتج من استقراء الجزيئات تحصيل مفهوم كلى حسب قواعد المنطق . (مقاصد الشريعة الإسلامية ، ٢٥) .

٣ - ترتيب المصالح والمفاسد :

ذلك أن الفكر العلمي عموما فكر ترتيبي يعطى كل شيء رتبته التي يستحقها ، ويضعه فيها ولا يسوى بين الأمور ولا يخلط بين مراتبها .

والفكر المقاصدى بصفة خاصة مفروض عليه ومفروض فيه أن يكون فكراً ترتيبياً بدرجة أعلى وبشكل أجلى ؛ ذلك أن القضايا الأساسية والخطوات الأولية فى علم المقاصد تقوم على ترتيب المقاصد

إلى (ضروريات – حاجيات – تحسينيات) ، كما أن أصول الضروريات الخمس لها ترتيبها وأسسها الترتيبية ؛ بل مجرد التمييز بينها يتم عن عملية ترتيبية للأمور (الريسونى ، ٦٨) .

ومن خلال قراءة النصوص الشرعية ونظر عامة العلماء إلى أحكام الشرع أي إلى أوامره ونواهيه على أنها ليست فى منزلة واحدة ولا هى ذات أهمية واحدة ؛ بل منها المهم والأهم ، والأعلى و الأدنى ، ومنها المشدد والمخفف . (الريسونى ، ٧٤) .

٤ – التمييز بين المقاصد والوسائل .

وهى من أهم القواعد التي يرتكز عليها الفكر المقاصدى ، ويهتدى بها فى نظره وفقهه ؛ حيث ينبغي التفريق بين المقاصد والوسائل مع ما يبنى على ذلك من وضع كل منها في موضعه وإعطاء كل منها منزلته ووظيفته .

فالمقاصد – كما تم تعريفها سابقا – عبارة عن " الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد " .

أما الوسائل : فهى جمع وسيلة ، وهى ما يطلب ويتخذ ويستعمل لا لذاته وإنما لتحصيل غيره ؛ فالوسيلة شىء أو فعل يتوسل به إلى بلوغ المقصود .

فالشرع فيما يأمر به وينهى عنه فيما يطلب إتيانه وفيما يطلب اجتنابه قد يكون فعله أو تركه هو نفسه مصلحة أو مفسدة أو مشتملاً عليها ، ففى هذه الحالة يكون المأمور به هو المقصود بالأمر والنهى ، وقد يطلب فعل شىء لأن بواسطته يمكن الوصول إلى ما هو مطلوب تحقيقه ، وهو مقصود الشرع فيما أمر به وقد يطلب شىء لأنه يقود ويفضى إلى ما يقصد الشرع منعه واجتنابه .

فوائد الفكر المقاصدى :

يشير الريسونى فى كتابه " الفكر المقاصدى ، قواعده وفوائده " (١٩٩٩، ٩٠ وما بعدها) إلى أن للفكر المقاصدى عدة فوائد يمكن الإشارة إليها فيما يلى :

يوجه المجتهدين نحو مقاصد الشرع . -يضع منهجا للتفكير والنظر . -يسد الذرائع على دعاة التحرر والتيسير على غير أثاث علمي مثل المدنية والتحضر وحاجة العصر -الاهتمام بمقاصد المكلفين دون تشدد بدعوى الاحتراز وسد الذرائع. -تزيل الكلل وتسدد العمل . -

ييسر طريق الدعوة فتحديد المقاصد يسهل للداعية إيصالها وتقنع المستقبل بقبولها - التوسع والتجديد فى الوسائل حسب طبيعة العصر فيما لا يخالف الشرع.

مهارات الفكر المقاصدى :

اتضح فيما سبق أن من وسائل فهم النصوص وإدراك مقاصدها الإلمام باللغة العربية وقواعدها المختلفة، كما يجب أن يتوفر لدى هذا الدارس أو القارئ مجموعة من المهارات والقدرات التى تؤهله للقيام بهذه المهمة وإذا كانت الكتابات والأدبيات المختلفة لم تعط تصوراً واضحاً عن مهارات الفكر المقاصدى وأنواعها وتصنيفاتها ؛ إلا انه من خلال مراجعة هذه الكتابات يمكن اشتقاق بعض المهارات التى يجب أن يتحلى بها المتصدى للفكر المقاصدى وذلك بأن يتصف بـ: .

- كشف الطاقات، فيضع لها الخطة والهندسة المناسبة - التأصيل للمنطلقات التي يقوم عليها معرفة المقاصد. - تحديد المسؤوليات. - التبصر بمواطن القصور والخلل . -اكتشاف أسباب التقصير يهتم بالمراجعة والتقويم -العمل على اغتنام الطاقة . - التقاط الفرص التاريخية - الإفادة من التجربة

- يكتسب القدرة على التحليل والتعليل، والاستنتاج والقياس - يستشرف المستقبل في ضوء رؤية الماضي. - يحمي من الإحباط - يمزج بين الإمكانيات والأمنيات - ويحقق الانسجام بين قوانين الكون ونواميس الطبيعة وسنن الله في الأنفس -يكتسب القدرة على الترتيب و الاستقراء والتركيب.

ويلاحظ انها متنوعة موزعة ما بين النص واللغة والتفكير والمجتمع.

ومن هنا يرى (عيسى الغيث ، ٢٠١٨) " أنه لإعداد هذه الشخصية الفذة لا بد من إدراك مقاصد الشريعة وتفعيلها، فالبحث في المقاصد مطلب شرعي، حيث فهم القرآن من سياقين، أولهما : صريح ، وثانيهما : بالتلميح من خلال تضافر نصوص التعليل في مقامات الإيجاب والتحريم والتحليل، فمن صريحه قوله تعالى: «ألا له الخلق والأمر»، فهي دعوة إلى التدبر والتفكر في آيات الكون والوحي واكتناه أسرار الخلق وحكم الأمر، ومن تلميحه تعليله للأحكام وإبراز الحكمة والمصلحة في نصوص القرآن لينبه عن المقاصد ويربي الأمة على البحث عنها كما هو في القياس عند الأصوليين".

(https://www.al-madina.com)

إن إعداد شخص يتمتع بالفكر المقاصدي عمل مهم ويحتاج إلى وضع تصورات متعددة الأبعاد تتسم بالتنوع والشمول؛ نظرا لكون هذا المجال من المجالات الموسوعية التي تتداخل فيها العلوم بشكل

كبير، وهذا ما دفعنا إلى اقتراح نموذج للفكر المقاصدي يتضمن عدة أبعاد متنوعة ومتكاملة، يمكن ان تتضافر معا في إعداد المفكر المقاصدي المتميز الذي يحتاجه المجتمع المسلم في كل زمان خاصة في هذه الفترة العصيبة التي تطحن فيها الأمة بين شقي رحى هما(التشدد والتسيب)وقد امتطى فيها -كل من يعرف ومن لا يعرف - جواد الدعوة متسلحا بالجرأة والوقاحة ؛ فأخذ يتصدى للنصوص الدينية ويفسرها على هواه لعله يجد من وراء ذلك ناقة أو جملا أو غير ذلك من متاع الدنيا، دون وجود رقيب يضرب بيد من حديد على يد هؤلاء العابثين بقضايا الأمة وأحكام الدين من المتشددين بدعوى الحفاظ على الدين والهوية ، ومن المتسيبين تحت دعوى التحضر والتطوير ومحاربة الرجعية والتخلف - فحسبنا الله ونعم الوكيل -في الفريقين معا.

لذا يقترح النموذج التالي لإعداد المفكر المقاصدي ومن ثم المفكر النقدي:

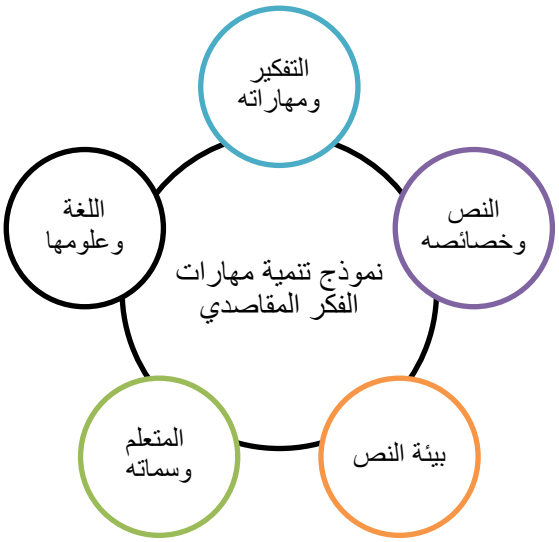

شكل (٣) النموذج الخماسي لتنمية مهارات الفكر المقاصدي

إن هذه الأبعاد قد وردت صراحة أو ضمنيا في قوله تعالى " : **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف، آية ٢) إن هذه الآية تشير إلى جميع العناصر المؤثرة في فهم مقاصد النص، وهي التي وردت في الشكل السابق، فالآية تتحدث عن النص المنزل - والنص المنزل حتما سيكون في بيئة نزل فيها - ثم ذكر لغة النص - ثم التفكير ودوره في الوصول لمقاصد النص والذي تظهر ثمرته في العقل الذي يعقل السلوك ويوجهه وفق مقتدى النص، ويمكن إيضاح هذه الأبعاد بشيء من التفصيل فيما يلي:**

البعد الأول: النص وطبيعته:

النص الديني يتسم بالقدسية إلى جانب اتصافه بصفات لا توجد في أي نص آخر وهو أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا يتطلب منا أن نضع ذلك نصب أعيينا فإذا كان هناك خلل جراء تطبيق النص فهذا لا يرجع إلى النص وإنما إلى قارئ النص وفاهمه ومطبقه ومتابعه، فالنص صحيح الدلالة محدد المقاصد مضمون النتائج صالح لكل زمان ومكان.

وبناء على ذلك ينبغي أن يتمتع من يقوم بالعمل على معرفة مقاصد النص التمكن من مجموعة من المهارات المتعلقة بالنص أهمها:

- مهارات قراءة النص القرآني(مهارات التجويد - الوقف والابتداء -القراءات العشر.. وكل ما يتعلق بالنص القرآني من علوم ومهارات)
- مهارات النص النبوي: مثل مهارات معرفة موضوع النص، والتثبت من صحته، وقراءته ومعرفة صحة النص.. وكل ما يتعلق بالحديث وعلومه من مهارات.
- مهارات فهم النص(المهارات الخاصة بالتفسير ومناهجه، وانواعه، وأدواته.. ومعرفة الناسخ والمنسوخ.. وغير ذلك)
- مهارات تصنيف النص(وهي تلك الخاصة بمعرفة الموضوع الذي ينتمي إليه النص عقائد عبادات معاملات حدود جوانب اجتماعية جوانب تاريخية.. وغيرها ، فلكل نص مهارات خاصة بالمجال الذي يعنى به النص.
- مهارات تحديد سبب نزول النص: وهي مجموعة المهارات المرتبطة بتحديد السبب الذي جاء فيه النص، ومعرفة الروايات والبحث عنها والتحقق من صحتها، ونقدها .. وغير ذلك من مهارات.

ويحدد مهارات هذا الجانب ويصنفها المتخصصون في هذا العلوم الإسلامية، كل علم على حدة.

أما إذا كان النص متونا فقهية أو لغوية أو علمية فإن أهل كل علم يضعون المهارات اللازمة لفهم مقاصد النص، فلكل نص خصائص ولكل نص مهارات خاصة به، رغم أن هناك قاسما مشتركا بينها في مجموعة من المهارات.(تحتاج لدراسة وبحث)

البعد الثاني: اللغة وعلومها:

إن أهمية اللغة تكمن في كونها أوعية الفكر، ولا سبيل للوصول إلى معاني ومقاصد النص من عير التمكن من اللغة بمهاراتها وعلومها المختلفة، فمعرقة مقصد النص قد يعتمد على جانب صوتي أو

صريح أو نحوي او معجمي أو سياقي للغة ، وبالتالي يصبح اللفظ الوسيلة الموصلة للمعنى ، ويصبح المعنى الطريق للوصول لمقاصد النص، ولتوضيح العلاقة بين المقصد واللفظ والمعنى في اللغة انظر للشكل التالي:

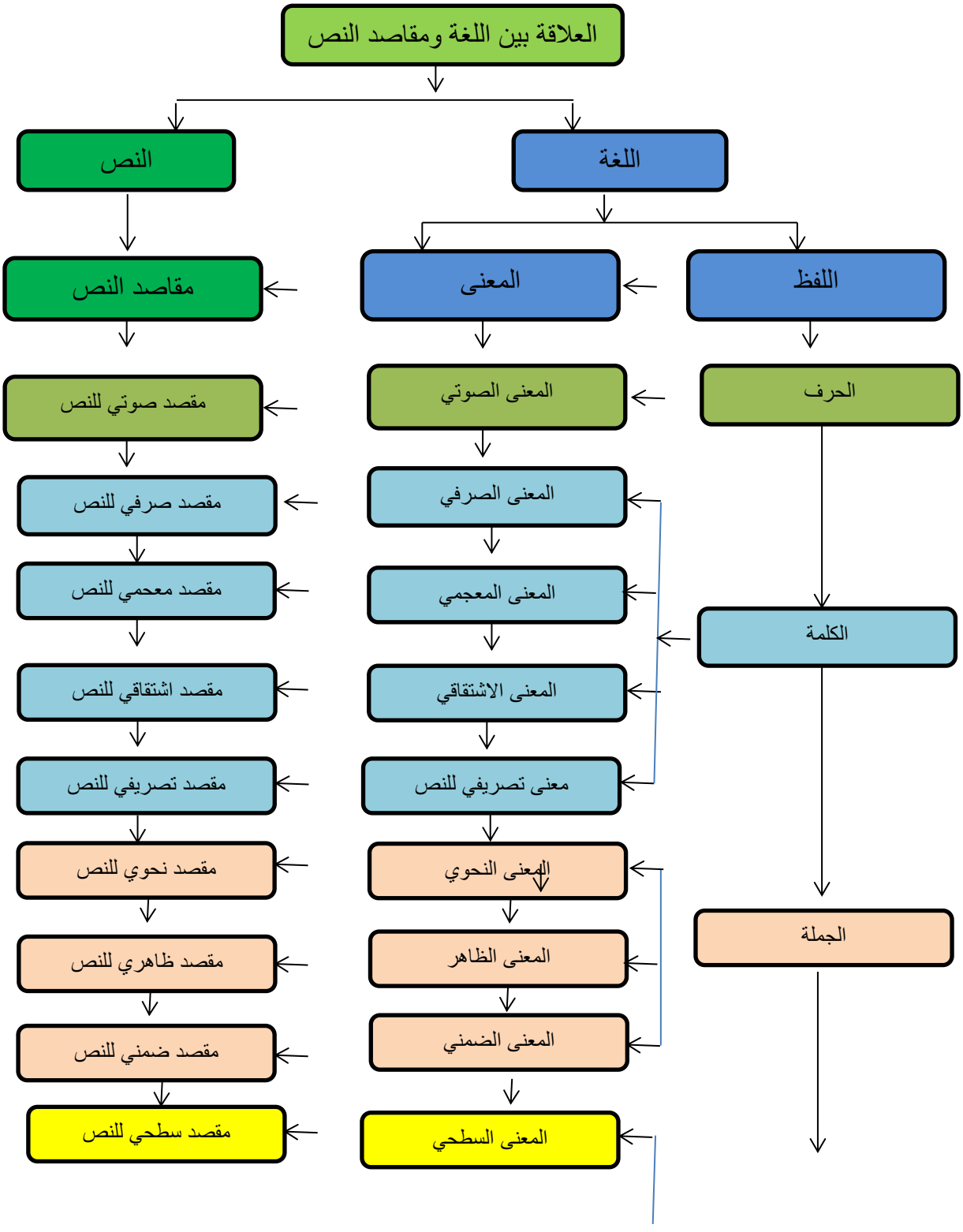

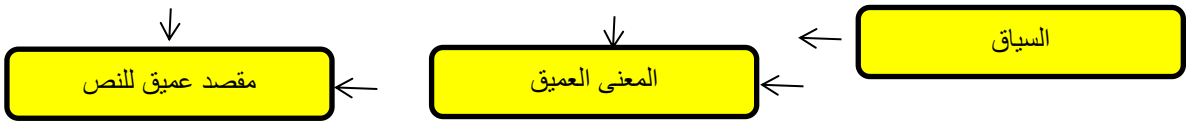

شكل (٤) العلاقة بين اللغة (اللفظ والمعنى) ومقاصد النص بالنظر إلى الشكل السابق يتضح أن:

أولا: كل مستوى من مستويات اللفظ له معنى أو أكثر خاص به: فعلى سبيل المثال تغيير الصوت في نطق حرف ما في كلمة يؤدي إلى تغيير معناها؛ فمثلا (مَنْ) غير (مِنْ) غير (منَّ) فالأولى اسم استفهام، والثانية حرف جر ، والثالثة فعل بمعنى أكرم، وهذا التغيير يرجع للجانب الصوتي للحروف.

ثانيا: لكل كلمة معنى والكلمة لها ثلاثة جوانب:

١ - المعجم: فلكل كلمة دلالة معجمية ، يتم معرفته من خلال الرجوع للمعجم، وقد يكون هو الأساس في تحديد المعنى ومن ثم تحديد مقصد النص.؛ فكلمة قسورة في قوله تعلى " فرت من قسورة" يعد المعنى المعجمي الأساس في فهم مقصد الآية.

٢ - البنية الصرفية: فالبنية الصرفية للكلمة لها معنى وكل تغيير في البنية يتبعه تغيير المعنى، وبالتالي تعدد البنى الصرفية يؤدي إلى تعدد المقاصد في النص؛ وتتغير بنية الكلمة بالحذف والزيادة و الاشتقاق والتصريف: فلزيادة في المبني تؤدي لزيادة في المعنى فعلى سبيل المثال كلمة (استطاع) وكلمة (اسطاع) بينهما اختلاف في البنية بالزيادة والحذف ومن ثم لكل منهما معنى خاص بها، واذا ورد ايهما في النص يحدد مقصد النص كم في قوله تعالى" فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا" الكهف

والاشتقاق يغير في بنية الكلمة ، فكل مشتق من الكلمة له معنى يدل عليه ولا تدل عليه بقية المشتقات؛ فاسم الفاعل دلالته غير دلالة اسم المفعول ، فقاتل غير مقتول، فالأول من قام بالفعل والثاني من وقع عليه، ومن ثم تعدد المعنى للمشتقات يؤدي إلى تعدد المقصد.

وكذلك التصريف فالماضي له معنى غير المضارع والأمر ، فالمضارع يدل على التجدد والماضي يدل على المضي بينما الأمر يدل على الطلب، وورد أي صيغة في النص يؤدي إلى تغيير في المقصد.

ثالثا: الجملة لها معان عدة أهمها:

١ - المعنى النحوي: وهو الذي يتضح من الضبط الإعرابي للكلمات ، الناتج من علاقة الكلمة بما قبلها وبعدها، فالإعراب هو الإبانة، والإبانة تكون بعلامات الإعراب، ففي قوله تعالى:" إن الله بريء من المشركين ورسوله" يعد المعنى النحوي هو المحور الذي يبنى عليه المقصد في الآية.. وهكذا.

٢ - المعنى الظاهر: فهناك الكثير من الجمل تتكون من مفردات معينة قد توحي هذه الجملة بأكثر من معنى ، وقد يكون المعنى الظاهر هو المقصود كما في قوله تعالى " أقم الصلاة لذكري" فالمعنى الظاهر وهو إقامة الصلاة هو المقصود وبالتالي يكون هو الأساس في تحديد مقصد النص.

٣ - المعنى الضمني: وهو المعنى الذي لا يكون ظاهرا في النص صراحة وانما يكون متضمنا في النص باستخدام صيغة لغوية متنوعة خاصة البلاغية، ففي قوله تعالى" كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" ليس المراد وضع خيطين ونجلس نأكل وهذا هو الظاهر بينما المعنى المقصود هو المعنى الضمني وهو انشقاق النور من الظلام، ومن ثم أصبح المعنى الضمنى هو الموجه لمعرفة مقصد الناس..

<u>رابعا: السياق :</u>

السياق مجموعة الجمل والعبارات التي تتابع في نسق لغوي واحد تدور حول فكرة عامة ومجموعة من الأفكار الفرعية في انسجام لفظي ومعنوى عال، ينتقل فيها الكاتب أو المتحدث من فكرة إلى فكرة بخفة ورقة ، وكأنه عصفور ينتقل من غصن إلى غصن في خفة وجمال.

وللسياق أكثر من معنى أهمها:

١ -المعنى السطحي: وهو المعني الذي يفهمه القاريء والمستمع بمجرد قراءته للنص ، ويفهم من جمله وتراكيبه ومفرداته صراحة. واعتماد النص على هذا النوع من المعاني يجعل القاريء يصل إلى مقاصد النص المباشرة.

٢ -المعنى العميق: وهو المعني الذي يحتاج إلى قراءة ما بين السطور من معان مستترة بين الكلمات والجمل، ويلقي بظلاله بين الحين والأخر أمام القارئ فيتتبعها وكانه غواص باحث عن لآلي في أعماق بحر النص، واعتماد النص على هذا النوع من المعاني يجعله يفهم مقاصد النص الضمنية.

ونظرا لذلك اهتم الشاطبى بالبحث عن كيفية معرفة المقاصد الشرعية ومتطلبات ذلك ونشرها فى أجزاء متفرقة من كتابيه " الاعتصام " و " الموافقات " ، وقد عمل الريسونى فى كتابه " نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى " (١٩٩٥ ، ٢٩٠ وما بعدها) على تجميع هذه المتفرقات وتنسيقها ،وأهمها:

- **فهم المقاصد وفق مقتضيات اللسان العربى :** وفيه يشير إلى أن " القرآن نزل بلسان العرب على الجملة ، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ...، فمن أراد تفهمه ، فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل ألى تطلب فهمه من غير هذه الجهة .) ومن هنا يجب أن ينظر إلى مقاصد الشريعة فى ضوء لغتها العربية وفى ضوء المعهود من أساليب العرب ، ومن ذلك أن العرب " فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره ، وبالعام يراد به العام فى وجه والخاص فى وجه ، وبالعام يراد به الخاص ، والظاهر يراد به غير الظاهر ، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره ، وتتكلم بالكلام ينبئ أوله عن آخره ، أو آخره عن أوله ، وتتكلم بالشئ يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة ، تسمى الشئ الواحد بأسماء كثيرة ، والأشياء الكثيرة باسم واحد ، وكل ذلك معروف عندها لا ترتاب فى شئ منه هى ، ولا تعلق بعلم كلامها . فإذا كان كذلك ، فالقرآن – فى معانيه وأساليبه – على هذا الترتيب.

وهو يكثر من التأكيد على أهمية احترام والتزام حدود وقواعد اللغة العربية فى فهم مقاصد النصوص ، فهو يرى أن الشريعة " لا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم لأنهما سيان فى النمط ، ما عدا وجوه الإعجاز . " فإذا افترضنا وجود انسان مبتدئ فى فهم اللغة العربية أو متوسط فإنه كذلك فى فهم الشريعة ؛ فكلما كان أمكن فى اللغة العربية ، كان أقدر على إدراك مقاصد الشريعة إدراكاً سليماً .

ويرى (الشاطبى) أن اللغة العربية من الأدوات التى بها تعرف المقاصد فيقول " فعلى الناظر فى الشريعة والمتكلم فيها أصولاً وفروعاً ..أن لا يتكلم بشئ من ذلك حتى يكون عربياً أو كالعربى " . (الاعتصام ٢ / ٢٩٣) .

فإذا كان صح له أن ينظر فى القرأن ، ويستخرج معانيه ومقاصده ، على أن يسلك فى " الاستنباط منه ، والاستدلال به مسلك كلام العرب فى تقرير معانيها ، ومنازعها فى أنواع مخاطباتها خاصة ، فإن كثيراً من الناس يأخذون أدلة القرأن بحسب ما يعطيه العقل فيها ، لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع ، وفى ذلك فساد كبير ، وخروج عن مقصود الشارع (الموافقات / ١ / ٤٤) .

ومن هنا يتضح دور اللغة العربية وإتقانها فى الفهم الصحيح للنصوص الشرعية ومن ثم فهمها والالتزام بما فيها من أوامر ونواه ؛ مما يعنى الإدراك الواعى بمقاصد الشريعة الإسلامية .

البعد الثالث: التفكير ومهاراته:

التفكير بعد أساسي في الفكر المقاصدي ؛ فهو حلقة الوصل بين اللغة والنص وما يحتويه من مقاصد، ونحن نحتاجه في فهم المقاصد وفي توظيف المقاصد بالقياس أو الاستنباط أو الاستنتاج.

ويظهر دور التفكير في الفكر المقاصدي فيما يلي:

- **الربط بين اللغة والنص:** فمن غير التفكير لن يستقبل المرء النص ويترجمه ويفهمه ويفسره ويحلله ويستنتج منه ويستنبط ويقيس ويقارن ويقوم وينقد ما توصل إليه.

-**الربط بين النص والبيئة:** فالفهم الصحيح للنص يحتاج إلى معرفة البيئة التي نزل فيها النص ، وبالتالي المعنى والمقصد من النص في هذه البيئة، ومن ثم يتم تحديد المقصد الحقيقي للنص، خاصة تلك التي تعتمد على طبيعة المجتمع.

- **الربط بين النص وما يحتاجه من مهارات التفكير**: فكل نص له طبيعته ومن ثم مهارات تفكير مناسبة له ويأتي دور التفكير في التوفيق بين النص وطبيعته ومهارات التفكير المناسبة لتحديد مقاصده.

- **تحديد مقاصد النص:** إذا كان النص يتضمن المقصد منه فإن إظهار هذا المقصد وتحديده يتم عن طريق التفكير، فمن خلال التفكير نحدد اللفظ الذي يعد محورا في تحديد مقاصد النص، ثم تحديد المعنى المناسب الذي يمكن الاعتماد عليه في تحديد مقاصد النص، ثم البيئة التي ورد فيها النص لأنها تحدد حقيقة النص، ثم البيئة التي سيطبق فيها النص؛ ومن ثم يحدد بدقة مقاصد النص.

- **توجيه السلوك في ضوء مقاصد النص:** إن معرفة مقاصد النص ليس الغاية من النص وإنما الغاية توظيف مقاصد النص لتوجيه السلوك؛ وهذا يظهر في توظيف المقاصد من خلال:

١ - القياس.

٢ - الاستنتاج.

٣ - الاستدلال.

٤ - تحديد أولويات ومصالح المجتمع.

إن كل ما سبق يعتمد على التفكير بمهاراته واستراتيجياته المختلفة.

إن من غير التفكير لن يترجم الإنسان ما توصل إليه من مقاصد النص إلى سلوك عملي موجه من قبل ما تم التوصل إليه من النص.

ثانيا: مهارات التفكير الأخرى:

وتعد مهارات التفكير الدعائم الأساسية التي يقوم عليها التفكير التقدي وغيره، وأهم هذه المهارات، ما ورد في نظرية القبعات الست لدي بونو(ديبونو ، ٢٠٠١ ٥٠)؛ حيث قام بتوزيع مهارات التفكير في مجموعات على ست قبعات على النحو التالي:

١ -القبعة البيضاء(الحيادية): وهي التي تمثل مهارات التفكير الحيادي، وتسمى الحيادية؛ لأنها تعني بالتفكير البعيد عن التحيز ، وتتضمن على المهارات التالية:

- تحديد المعلومات التي لدينا عن الموضوع المراد.
- تحديد المعلومات الناقصة لدينا حول الموضوع.
- تحديد المعلومات الأخرى التي يمكن الاستفادة منها.
- لتخطيط الزماني والمكاني للحصول على المعلومات الناقصة حول الموضوع.

٢ -القبعة الحمراء(العاطفية):

وهي تتناول مهارات التفكير العاطفي والمشاعر الداخلية والحدس التفكير المبني على العواطف والمشاعر الداخلية للحصول على صورة أعمق وأوضح عن الموضوع، ومهاراتها:

- تحديد أسباب الإعجاب بالموضوع.
- وصف الشعور تجاه الموضوع.
- إيضاح سبب الإعجاب بالموضوع.

٣ -القبعة السوداء(السلبية):

وتتضمن مهارات التفكير الناقد المنطقي المتمثلة في تحديد:

-قابلية الفكرة للتطبيق.

-مدى صحة الفكرة .

-مدى مناسبة الفكرة لنا.

-المخاطر والمحاذير التي يمكن أن تواجهنا في تنفيذ الفكرة.

-نقاط الضعف في الفكرة.

٤ - القبعة الصفراء (الايجابية):

وتتضمن مهارات التفكير المنطقي تهتم بتحديد الفوائد المتوقعة في تنفيذ الفكرة؛ حيث يقوم الفرد بتحديد:

-الفوائد المتوقعة.

-الايجابيات.

- قيمة الفوائد.

٥ - القبعة الخضراء (الإبداع):

وهي تقوم على مهارات التفكير التباعدي التي تهدف إلى الوصول إلى أفكار جديدة ومبتكرة وتتضمن :

-توقع نتائج لمقدمات ...ماذا لو؟

-تصحيح الأخطاء...كيف نصحح الأخطاء؟

-تقديم أفكار جديدة...كيف نجدد ونطور؟

٦ -القبعة الزرقاء (الشمولية):

وتتناول مهارات التفكير الشمولي التي تنسق عمل مهارات القبعات الأخرى، وتتضمن على مهارات:

- تحديد ما وصلنا إليه والخطوة التالي.
- تنظيم استخدام القبعات المختلفة .
- توزيع الوقت المتاح على القبعات المختلفة.
- تقويم طريقة التفكير وتطويرها.
- تحديد المخرجات أو النتائج التي تم التوصل إليها.

وبالنظر إلى القبعات الست وما تحتويه من مهارات نجد أننا في حاجة إلى كل هذه المهارات أو أغلبها أثناء التفكير المقاصدي، وأن كل مهارة لها موقف تفكيري مناسب لها، وأن تمكن الفرد من هذه المهارات يجعله يفكر بطريقة ناجحة ومتميزة، فلا تفكير بدونها. وانه من خلالها يمكنه ان يقوم بجميع أنواع التفكير بما في ذلك التفكير المقاصدي.

ثالثا: مهارات استخدام استراتيجيات التفكير المناسبة:

إن توظيف مهارات التفكير السابقة لا يتم إلا من خلال إستراتيجيات تفكير ، تنسج هذه المهارات في إجراءات متتابعة تتسم بالمرونة للوصل لمقاصد النص ومن ثم نقد النص ، فيما يعرف باستراتيجيات التفكير ، وأهم استراتيجيات التفكير التي يمكن استخدامها في التفكير النقدي ما يلي:

١ - الاستنتاج.

٢ - الاستقراء.

٣ - الاستدلال.

٤ - القياس.

٥ - إثارة الأسئلة.

٦ - الشورى.

٧ - التقصي.

٨ - التجريب العملي غير المعملي.

٩ - المناقشة والحوار

١٠ - الاكتشاف.

وهناك استراتيجيات أخرى كثيرة، ولكل استراتيجية منها إجراءات ومهارات تعتمد عليها في التنفيذ.

إن أروع ما في التربية الإسلامية هي تربية أبنائها على استخدام التفكير والتأمل والملاحظة فقد علم فقهاء المسلمين أهمية التفكير والعقل، فهذا "الإمام أبو حنيفة" يعقد جلسات العصف الذهني مع طلابه لقدح الذهن للتفكير والإبداع ، وإنشاء الحلول الأصيلة ، ويكفي الإسلام احترامًا للتفكير والعقل أن يسقط التكليف عن الإنسان بذهاب عقله وغيابه وتعطيله بالنوم وغيره.

لذا نجد أنه من فوائد التفكير كونه أوسع طريق وأقصره إلى معرفة أوامر الله ونواهيه بمعرفة مقاصد النصوص الشرعية ونقدها من أجل الوصول لفهم عميق لها، ثم العمل بها، ومن ثم الحصول على رضوان الله ومحبته، فينشرح الصدر ويسكن القلب، كما يورث التفكر والتفكير الخوف والخشية من الله عز وجل، ويورث الحكمة ويحيي القلوب، وللتفكر والتفكير قيمة عقلية كبرى تؤدي إلى يقظة ونهضة الأفراد والأمم.

فالتفكير يكاد أن يكون فريضة واجبة في ديننا وضرورة إنسانية على الجميع وفي كل وقت وتحت كل الظروف والمتغيرات ، فهو ليس ترفاً كمالياً يولد لدى صاحبه ضربًا من المتعة؛ ولكنه خير ما يظفر به الإنسان وتسمو به مداركه، فهو مفتاح المنطق وأساس كل خير، كما يعمل علي اجتلاب الطاعات والتنزه عن المهلكات ؛ لكونه يؤدي إلي المعرفة والعلم، والعلم يؤدي للعمل والإنجاز .

رابعا: مهارات فهم البيئة وطبيعتها والتعامل معها:

البيئة هي كل ما يحيط بنا من عناصر مادية وغير مادية، وهي تؤثر في اللغة وتتأثر باللغة، وكذلك في النص ومقاصده ونقده ، كما يؤثر فيها النص من خلال تطبيق مقاصده فيها، إن

معرفة البيئة وتحليها ومعرفة عناصرها مهارة مهمة للتفكير، فلا يفهم النص إلا من خلال بيئته ودلالته داخل هذه البيئة، ويمكن أن نحدد بيئة النص بما يلي:

١ - **البيئة الداخلية للنص: وهي تلك المتمثلة في العناصر اللغوية المكونة للنص بل والرابطة له بما قبله وبما بعده، سواء كان على مستوى اللفظ ام المعنى، لذا فإن قطع النص من سياقه اللغوي أي بيئته الداخلية يؤدي إلى فهم غير صحيح للنص ومن ثم عدم الوصول لمقاصده، وهي بيئة لغوية صرفة؛ فعلى سبيل المثال في قوله تعالى:"**
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (**النساء، ٤٣)**
لا يفهم المقصد الحقيقي لها إذا نزعت من بيئتها اللغوية ومن الآيات السابقة واللاحقة لها.

٢ - **البيئة الخارجية للنص: وهي تشمل عدة بيئات منها الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي نزل النص فيها ، ووقوف المفكر على هذه البيئة التي نزل فيها النصر يعرف دلالات ومقاصد النص ؛ فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: " وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا " (النحل، ٩٢) لها دلالتها الثقافية في بيئة العرب الثقافية رغم أنه ليس المعنى المقصود في النص إلا أن فهمه يساعدنا على فهم المقصود من النص، فلا يمكن أن يفهم النص في معزل عن البيئة التي نزل فيها بجميع أنواعها.**

<u>خامسا: الاتسام بسمات المتعلم الناقد:</u>

رغم أن التفكير شجرة أثمرت في جميع العلوم ، فلكل علم نصوصه ولكل نص مقاصده وطريقة وقواعد لنقده، ورغم التفكير النقدي علم له متخصصون إلا أنه قاسم مشترك بين الناس جميعا، وكل يستخدمه على قدر حاجته، لكن من يتصدى لهذا النوع من التفكير خاصة في العلوم الدينية ينبغى أن يتصف بسمات نفسية وعقلية معينة أهمها:

- **التروي وعدم الاندفاع.**
- **مهارات البحث والتقصي.**
- **مهارات العمل في فريق.**
- **التمكن من مهارات اللغة العربية.**
- **التمع بمهارات التفكير.**
- **الإلمام باستراتيجيات التفكير المختلفة خاصة ما يتعلق بالنصوص الدينية.**
- **التمتع بالتفكير التحليلي والاستنتاج والاستنباط.**

- **التمتع بالقيم الإسلامية.**
- **مهارات البحث العلمي والتفكير العلمي.**
- **موسوعية الفكر والعلوم.**
- **حسن الخلق.**
- **الجد والاجتهاد والأمانة العلمية.**
- **الصبر والمثابرة.**
- **الخلق الكريم.**

إن مراعاة ما سبق في تعليم مهارات التفكير النقدي يساعدنا في إعداد المحترفين في هذا المجال، ويجعل المجتمع يشعر بالاطمئنان لحاملي العلوم الشرعية، وينظر إليهم بعين الثقة لا الريبة والشك، ويقطع الطريق أمام أنصاف المتعلمين والعاطلين الذين لم يجدوا عملا فاتجهوا إلى مجال الدعوة بدون إعداد مؤسسي مسبق ، وأصبح يشار إليهم بالبنان على أنهم دعاة ومفكرون إسلاميون ..!

نشاط

قم بإعداد مخطط بصري توضح من خلاله مهارات التفكير النقدي المختلفة